المنار

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ سرطان (تير) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

تفسير القرآن الحكيم

(من الطريقة التي كان يلقيها في الأزهر شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه)

(٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ

أرشدت الآيات الثلاث السابقة الى دلائل وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وأنها مع ذلك لم تمنع الكافرين من الشرك في الالوهية ؛ وأرشدت الى دلائل البعث ودل انها لم تمنع المشركين من الشك فيه ؛ وبينت الثالثة ان الله تعالى المتصف بالصفات التي يعرفونها ولا ينكرونها هو الله في عالمي السموات والارض ، المحيط علمه بكل شيء ، فلا ينبغي ان يتخذ معه إله فيهما . ولكن المشركين جهلوا ذلك فجوزوا ان يكون غير الرب إلها وعبدوا معه آلهة أخرى ، فبين لهم الوحي الحق في ذلك وان الله الذي يعترفون بأنه هو رب السموات والارض وما فيهن هو الإله المعبود بالحق فيهن — ثم أرشدت هذه الآيات الثلاث اللاحقة بسبب عدم اهتدائهم بالوحي، وأنذرتهم عاقبة التكذيب بالحق، ويتلو ذلك في الآيات التي بعدهن كشف شبهاتهم على الوحي والرسالة النبوية التي عليه الصلاة والسلام فيكون الكلام في أصول الدين كلها وفي السورة تفصيل له . قال عز وجل :

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) أي لم يكن كل أمرهم أنهم لم يستدلوا بما ذكر في الآية الأولى من دلائل التوحيد ، ولا بما ذكر في الثانية على البعث ، ولم ينظروا فيما يستلزمه كونه سبحانه هو الله في السموات وفي الارض ، المحيط علمه بالسر والجهر وكسب العبد ، بل يعطف على هذا ويزاد عليه أنهم أضافوا الى عدم الاهتداء بالآيات الثابتة الدائمة التي يرونها في الآفاق وفي أنفسهم عدم الاهتداء بالآيات المتجددة التي تهديهم الى ذلك وتبين لهم وجه دلالتها ، وهي آيات القرآن ، المرشدة الى آيات الاكوان ، والمثبتة لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وفي معناها كل ما يدل على نبوته (ص) من المعجزات، وذلك انهم لا تأتيهم آية من هذه الآيات من عند ربهم — ولا يقدر عليها غيره — الا كانوا معرضين عنها، غير متدبرين لمعناها ولا ناظرين فيما تدل عليه وتستلزمه فيهتدوا به واصل الاعراض التولي عن الشيء الذي يظهر به عرض المتولي المدبر عنه . أي فهم لهذا الاعراض عن النظر في الآيات المنزلة وما فيها من الاعجاز العلمي واللفظي يظلون معرضين عن الآيات الكونية الدائمة الدالة على ان هذا الرب الواحد الذي بيده ملكوت كل شيء هو الحقيق بالالوهية وحده ، وأنه لا يجوز أن يدعى غيره

ولا أن يعبد سواه ، لان الربوبية والالوهية متلازمان . فالآيات الدالة على ان الرب واحد دالة أيضا على انه هو الإله وحده ، ولولا إعراضهم عن النظر في ذلك والتأمل فيه عنادا من رؤسائهم ، وجمودا على التقليد من دهمائهم ، المانع من النظر والاستدلال ، لظهر لهم ظهورا لا يحتمل المراء ولا يقبل الجدال ، فالآية معطوفة على ما قبلها متممة لمعناه ، والمضارع المنفي فيها على إطلاقه دال على التجدد والاستمرار ، أو على بيان الشؤون وشرح الحقائق — كقوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل انثى) — فلا يلاحظ فيه حال ولا استقبال ، وفي معنى هذه الآية آية أول سورة الشعراء وستأتي قريبا ، وآية في أول سورة الانبياء وهي (٢١ : ٢ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ٣ لاهية قلوبهم)

وقوله « من آية » يدل على استغراق النفي أو تأكيده ، وإضافة الآيات الى الرب تفيد ان انزاله الوحي وبعثه الرسل [illegible] وهدايته الخلق بهم من مقتضى ربوبيته أي مقتضى كونه هو [illegible] المدبر لأمورهم على الوجه الموافق للحكمة [illegible] الرب ولا يؤمنون بكتبه ورسله [illegible] وقيل ان المراد بالآيات هنا الدلائل الكونية الثابتة ، وهو ضعيف فان هذه لا يكاد يعبر عنها بالاتيان ، لانها ماثلة دائما للبصائر والابصار ، وانما يعبر بالاتيان عن آيات الوحي التي تتجدد وعما يتجدد مثلها من المعجزات ، ومصداق الاخبار بالغيب كالاخبار بنصر الرسل وخذلان أقوامهم وآيات الساعة ، مثال ذلك آيتا الانبياء والشعراء المشار اليهما آنفا وقوله تعالى (أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات » وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها » أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله)

ولما بين أن شأنهم الاعراض عن الآيات المنزلة وسائر ما يؤيد الله به رسله رتب عليه قوله (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أي فبسبب ذلك الشأن الكلي العام — وهو استمرارهم على الاعراض عن النظر في الآيات — قد كذبوا بالحق الذي جاءهم لما جاءهم فلم يتريثوا ولم يتأملوا ، وانما كذبوا ما جهلوا ، وما جهلوا الا لانهم سدوا على أنفسهم مسالك العلم ، وهذا الحق الذي كذبوا به هو دين الله الذي

جاءهم به خاتم رسله (ص) من العقائد والعبادات والآداب ، وأحكام الحلال والحرام والمعاملات ، وقد دعاهم أولا بمثل هذه السورة الى كلياته مجملة ثم مفصلة ، وانما كان يكون التفصيل بقدر الحاجة ، الى ان تم الدين كله فأكمل الله به النعمة . والحق في أصل اللغة الموافقة والمطابقة كما قال الراغب ، أو الامر الثابت المتحقق بنفسه ، فهو كلي له جزئيات كثيرة ، وكلما أطلق في مقام يعرف المراد منه بالقرائن اللفظية أو المعنوية ، وقد أطلق في القرآن بمعناه اللغوي المطلق وعلى الباري تعالى وعلى القرآن وعلى الدين ، وذكر الدين مضافا الى الحق إضافة بيانية كقوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) وقوله (ولا يدينون دين الحق) وأطلق بمعاني أخرى تفهم من السياق في كل موضع . — فالاظهر عندنا ان المراد بالحق هنا الدين المبين في القرآن ، وروي عن قتادة تفسيره بالقرآن هنا وفي مثله من سورة (ق) ولا فرق بينه وبين ما قلناه في المعنى ، فان تكذيبهم بالدين الذي نزل به القرآن هو عين التكذيب بالقرآن [illegible] في توجيه اللفظ والتناسب بين هذه الآية وما قبلها وبعضها علينا هذه السببية [illegible] اعراضهم عن آيات القرآن الدالة باعجازها على كونها من عند الله وعلى رسالة من أنزلت عليه — وبمعانيها على دلائل التوحيد والبعث ، وعلى أحكام الشرائع والآداب ، قد كان سببا ترتب عليه تكذيبهم بالحق الذي أنزل القرآن لبيانه وهو تلك المعاني التي هي دين الله عز وجل . واذا فسر الحق هنا بالقرآن نفسه يكون المعنى انهم أعرضوا عن كل آية من القرآن فكان ذلك سببا لتكذيبهم بالقرآن ، وان المعرض عنه والمكذب به واحد ، ووجهه أبو السعود ، بضرب من تكلفه المعهود ، وقد يتخرج على القول بأن فاء السببية تأتي بمعنى لام العلة فتدل على ان ما بعدها سبب لما قبلها ، وفي هذا القول مقال ، وفي التخرج عليه ما لا يخفى من الخفاء ، ولكن يظهر ذلك على القول بأن الآيات التي شأنهم الاعراض عنها هي دلائل الاكوان أو المعجزات مطلقا ، اذ يقال حينئذ في تقدير الربط — : ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية ، وأظهر دلالة ، وهو الحق الذي تحدوا به ، فعجزوا عن الاتيان بسورة من مثله ، وقد علمت ان المختار في الآيات الاول . وقيل ان الحق هنا هو النبي

(ص) قاله ابن جرير الطبري ؛ وقيل الوعد والوعيد

﴿ فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون ﴾ أي فعاقبة هذا التكذيب انه سوف يحل بهم مصداق الاخبار العظيمة الشأن مما كانوا يستهزءون به من آيات القرآن . والمراد بهذه الانباء ما في القرآن من الوعد بنصر الله لرسوله واظهار دينه ووعيد أعدائه بتعذيبهم وخذلانهم في الدنيا ثم بهلاكهم في الآخرة . وقد أنجز ذلك فكان من أوائله ما نزل بهم من القحط ، وما حل بهم في بدر ثم تم ذلك في يوم الفتح ، وقد دلت الآية على ما جاء مصرحاً به في سور أخرى من استهزاء مشركي مكة — والكلام فيهم — بوعد الله ووعيده وكذا بآياته ورسله ، ولا حاجة الى تقدير ذلك في الكلام فهو من لم يعدوه من بدائع ايجاز القرآن ، وقد تكرر في القرآن ذكر استهزائهم واستهزاء [illegible] من الكفار بالرسل وبما جاءوا به من الوعد والوعيد ، وانذارهم عاقبة هذا الاستهزاء في آياته ، وبيان نزول العذاب بهم في آيات [illegible] يستهزءون) وهو في سورة هود والنحل و [illegible]

جاء الوعيد على الاستهزاء هنا بحرف التسويف وجاء في آيتين مثل هاتين الآيتين في أول الشعراء بحرف التنفيس ، وذلك قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين * فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون) وقد حذف هنا معمول كذبوا ، وذكر السيد الآلوسي في روح المعاني تعليل ذلك بما نصه : وفي البحر انما قيد الكذب بالحق هنا وكان التنفيس بسوف وفي الشعراء «فقد كذبوا فسيأتيهم» بدون تقييد الكذب ، والتنفيس بالسين ، لأن الانعام متقدمة في النزول على الشعراء ، فاستوفي فيها اللفظ وحذف من الشعراء وهو مراد احالة على الاول ، وقد ناسب الحذف الاختصار في حرف التنفيس فجيء بالسين اه

أقول ويحسن أن يزاد على ذلك أنه لما كان فعل الاستقبال المقرون بسوف أبعد زماناً من المقرون بالسين تعين الاول فيما نزل أولا والثاني فيما نزل آخرا .

وقال الرازي في تفسير الآية اعلم ان الله تعالى رتب أحوال هؤلاء الكفار على ثلاث مراتب (فالمرتبة الاولى) كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل والتفكر

في البينات. (والمرتبة الثانية) كونهم مكذبين بها، وهذه المرتبة أزيد مما قبلها لان المعرض عن الشيء قد لايكون مكذبا به، بل يكون غافلا عنه غير متعرض له، فاذا صار مكذبا به فقد زاد على الإعراض (والمرتبة الثالثة) كونهم مستهزئين بها لأن المكذب بالشيء قد لايبلغ تكذيبه به الى حد الاستهزاء فاذا بلغ الى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في الانكار، فبين تعالى ان أولئك الكفار وصلوا الى هذه المراتب الثلاثة على هذا الترتيب . اه

وفي هذه الآيات عبرة لنا في حال الذين أضاعوا الدين ، من أهل التقليد الجامدين ، وأهل التفرنج الملحدين ، فهي تنادي بذم التقليد ، وتصرح بوجوب النظر في الآيات والاستدلال بها ، وبأن التكذيب بالحق والحرمان منه معلول للاعراض عنها ، وثبت ان الاسلام دين مبني على أساس الدليل والبرهان ، لا كالاديان المبنية على وحي التقليد للاحبار والرهبان أو الرؤساء والكهان ، وماذا فعل المسلمون بعد [illegible] شبر وذراعا بذراع، وأضاعوا حجة دينهم [illegible] عن سلفهم وهي أعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، ولولا حفظ الله جل وعلا هذا القرآن، وتوفيقه سلف الامة العناية بتدوين سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وأخذ طائفة من أهل النظر بهديهما في كل زمان ، لضاع من الوجود هذا الاسلام ، كما ضاعت من قبله سائر الاديان ، ولم يغن من ذلك وجود الالوف المؤلفة من كتب الفقه وكتب الكلام

كان عاقبة ذلك أن الحق صار مجهولا في نفسه عند الاكثرين ، فاتخذ الناس رؤساء جهالا قديما وحديثا ، تواطأ الفريقان على اضطهاد حملة الحجة من العلماء المستقلين، وظنوا ان ذلك من الكياسة، التي تقتضيها السياسة، وتحفظ بها أمر الملك والرياسة ، وما كان الا فتنة لهم ، أضاعوا بها دينهم وملكهم ، على أيدي أقوام من أمم الشمال اقتبسوا من الاسلام وأهل الاولين ذلك الاستقلال ، فتمتعوا ما كانوا فيه من ظلمات التقليد بنور الاستدلال ، فبلغوا من العزة والسيادة أوج الكمال ،

ثم استدار الزمان فافتتن بعض المسلمين ، بما رأوا عليه هؤلاء المستقلين ،

ولكن داء التقليد الضال، لم يفارقهم في هـذه الحال ، فطفقوا يقلدونهم في الازياء والعادات وظواهر الاحكام والاعمال ، فازدادوا بذلك خزيا على خزي وضلالا على ضلال ، اذ هدموا مقومات أمتهم ومشخصاتها ، ولم يستطيعوا ان يكوّنوها بمقومات ومشخصات غيرها .

فهذه الآيات الكريمة حجة على مقلدة المسلمين ، وعلى مقلدة الاوربيين، فانهم هم الذين أضاعوا الدنيا والدين ، وأعجب أمر هؤلاء المتفرنجين أنهم يدعون الاستقلال ، ويظنون ان ما يهذون به من الشبهات الدينية والاجتماعية ضرب من الاستدلال ، فهل دلالتكم على ما تركتم من هداية ، وما استحدثتم من غواية فانا لمناظرتكم مستعدون ، وكم دعوناكم اليها وأنتم لا تجيبون ؟

﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم﴾

الرؤية هنا علمية ، و(القرن) من الناس القوم المقترنون في زمن واحد، جمعه قرون ، وقد استعمل [illegible] في الزمن المحدد للقرن فأوسط الأقوال انه سبعون أو ثمانون سنة وقيل مئة أو أكثر وقيل ستون أو أربعون ، والمعقول انه مقدار متوسط أعمار الناس في كل زمان . وذهب بعضهم الى تحديد القرن بالحالة الاجتماعية التي يكون عليها القوم ، فقال الزجاج انه عبارة عن أهل عصر فيهم نبي أو فائق في العلم ، أي أو ملك من الملوك ، وهـذا أقرب الى استعمال القرآن ، فالظاهر أن قوم نوح قرن وان امتد زمنه فيهم زهاء ألف سنة ، وقوم عاد قرن وقوم صالح قرن . ويطلق القرن على الزمان نفسه والمشهور في عرف الكتاب اليوم أن القرن مئة سنة.و (التمكين) يستعمل باللام وفي . يقال : مكن له في الارض — جعل له مكانا فيها ، ونحوه أرض له . ومنه (إنا مكنا له في الارض) ويقال : مكنه في الارض — أي أثبته فيها ومنه (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) كذا في الكشاف قال وتقارب المعنيين جمع بينهما في هذه الآية . وقيل إن مكنه ومكن له كوهبه ووهب له، وقال ابو علي اللام زائدة كردفه ورَدِفَ له، وسيأتي تحقيق معنى الاستعمالين — والسماء المطر، والمدرار المغزار فهو صيغة مبالغة من الدَّرّ وهو مصدر: درّ اللبن درا، أي كثر وغزر، ويسمى اللبن الحليب درا كالمصدر.

والارسال والانزال متقاربان في المعنى لان اشتقاق الارسال من رسل اللبن وهو ما ينزل من الضرع متتابعاً، وقال الراغب: أصل الرسل الانبعاث على التؤدة ويقال ناقة رسلة سهلة السير، وإبل مراسيل — منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث. ثم ذكر ان الارسال يكون ببعث من له اختيار كارسال الرسل، وبالتسخير كارسال الريح والمطر، وبترك المنع نحو قوله (أرسلنا الشياطين على الكافرين) ويستعمل فيما يقابل الامساك نحو (وما يمسك فلا مرسل له)

والكلام استئناف لبيان ما توعدهم به، وكونه مما سبقت به سنته في المكذبين من أقوام الانبياء، والمعنى ألم يعلم هؤلاء الكفار المكذبون — بالحق كم أهلكنا من قبلهم من قوم أعطيناهم من التمكين والاستقلال في الارض وأسباب التصرف فيها ما لم نعطهم مثله ثم لم تكن تلك المواهب والنعم مانعة لهم من عذابنا لما استحقوه بذنوبهم (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر)؟ لا هذا ولا ذاك، فاما الايمان واما الهلاك.

وكان الظاهر أن يقال: مكناهم في الارض — أي القرون — ما لم نمكنهم — أي الكفار المحكي عنهم لتسلم من حذفهم، لتدل على ذلك بالالتفات عن الغيبة الى الخطاب لما في إيراد الضمائر ضميري الغيبة من إيهام اتحاد مرجعهما وكون المثبت هو عين المنفي، فقيل ما لم نمكن لكم: وإنما لم يقل «ما لم نمكنكم» أو: «ومكنا لهم ما لم نمكن لكم» — وهو مقتضى المطابقة — لنكتة دقيقة لا يدركها الا من فقه الفرق بين مكنه ومكن له. وقد غفل عنه جماهير أهل اللغة والتفسير، والتحقيق ان معنى مكنه في الارض أو في الشيء — جعله متمكنا من التصرف تام الاستقلال فيه. وأما مكن له فقد استعمل في القرآن مع التصريح بالمفعول به ومع حذفه، فالاول كقوله تعالى (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وقوله (أولم نمكن لهم حرما آمنا) والثاني كقوله تعالى (كذلك مكنا ليوسف في الارض) وقوله في ذي القرنين (إنا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا) فلا بد في مثل هذين تقدير المفعول المحذوف مع مراعاة ما يناسب ذلك من نكت الحذف ككون المفعول في هاتين الآيتين عاما يتناول كل ما يصلح المقام، كان

يقال مكنا ليوسف وللذي القرنين في الارض جميع أسباب الاستقلال في التصرف .

اذا فقهت هذا فاعلم ان في هذه الآية احتباكا تقديره « مكناهم في الارض ما لم نمكنكم ، ومكنا لهم ما لم نمكن لكم » ومعنى الاول انهم كانوا أشد منكم قوة وتمكنا في أرضهم ، فلم يكن يوجد حولهم من ينازعهم في قوتهم ، ويقدر على سلب استقلالهم ، ومعنى الثاني أننا أعطيناهم من أسباب التمكن في الارض وضروب التصرف وأنواع النعم ما لم نعطكم . فحذف من كل من المتقابلين ما أثبت نظيره في الآخر ، وهذا من أعلى فنون الايجاز ، الذي وصل في القرآن الى أوج الاعجاز ، ويصدق كل من التمكينين على قوم عاد وثمود وقوم فرعون وغيرهم كما يعلم من قصص الرسل في القرآن ومن التاريخ العام

ثم عطف على هذا ما امتازت به تلك القرون على كفار قريش من النعم الالهية الخاصة بمواقع بلادهم من الارض فقال (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) إرسال السماء عبارة عن إنزال [illegible] الانهار تجري من تحتهم) أي وسخرنا لهم [illegible] وهديناهم الى الاستمتاع بها بجعلها تجري دائما من تحت [illegible] أي بقربها على شفافها ، أو في الجنات والحدائق التي تتفجر خلالها ، فيتمتعون بالنظر الى جمالها ، وبسائر ضروب الانتفاع من أمواهها .

(فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) أي فكان عاقبة أمرهم لما كفروا بتلك النعم وكذبوا الرسل أن أهلكنا كل قرن منهم بسبب ذنوبهم التي كانوا يقترفونها ، وأنشأنا أي أوجدنا من بعد الهالكين من كل منهم قرنا آخرين يعمرون البلاد ويكونون أجدر بشكر نعم الله عليهم فيها ، والذنوب التي يهلك الله بها القرون ويعذب بها الامم قسمان (أحدهما) معاندة الرسل والكفر بما جاءوا به (وثانيهما) كفر النعم بالبطر والاشر وغمط الحق واحتقار الناس وظلم الضعفاء ، ومحاباة الاقوياء ، والاسراف في الفسق والفجور ، والغرور بالغنى والثروة ، فهذا كله من الكفر بنعم الله واستعمالها في غير ما يرضيه من نفع الناس والعدل العام ، والآيات

الناطقة بتلك الذنوب مجتمعة ومتفرقة كثيرة كقوله تعالى (٢٨ : ٥٨ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين ٥٩ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ، ١١ : ١٠٢ وكذلك أخذ ربك القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد ، ١٦ : ١١٢ ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ١٧ : ١٧ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) والعذاب الذي يعذب الله به الامم ويهلك القرون وبديل الدول قسمان أيضا : الهلاك والاستئصال ، وفقد الاستقلال ، وقد بينا هذا وذاك في مواضع من هذا التفسير[1]

وفي هذه الآية رد على كفار مكة وهدم لغرورهم بقوتهم وثروتهم بإزاء ضعف عصبية النبي (ص) وفقره ، وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين)

أما القوم أو القرن الآخرون الذين يخلفون من نزل بهم عذاب الله تعالى فهم لا بد ان يكونوا مخالفين لهم في صفاتهم ، وان كانوا من جنسهم وأبناء جيلهم ، فالشعوب التي نكبت بالحرب الاوربية المشتعلة الآن في أوربة لا بد أن يخلف الهالكين فيها خلف يتركون كثيرا مما كانوا عليه من الكفر بالله وكفر نعمه ويكونون أقل منهم بطرا وقسوة وانغماسا في الترف والسرف وما ينشأ عنهما من الفسق والفجور ، قال تعالى في آخر سورة القتال (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)

﴿ استدراك ﴾

ردنا في تفسير أول سورة الانعام بعد طبعه في الجزء الماضي من المنار جملة هذا نصها :

افتتح الله تعالى كتابه بالحمد ، ثم افتتح به أربع سور مكيات أخرى مشتملة كل منها على دعوة الاسلام ومحاجة المشركين فيها ، الاولى الانعام وهي آخر سورة

(١) تراجع في قاموس التفسير وفهارس مجلدات المنار كلمة « الامم » وكلمة « عذاب »

كاملة في آخر الربع الاول من القرآن ، والكهف وهي أول سورة في أول الربع الثالث ، وسبأ وفاطر وهما آخر الربع الثالث ، وليس في الربع الثاني ولا الرابع سورة مفتتحة بالحمد . وقد قرن الحمد في الاولى بخلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ، وفي الثانية بانزال القرآن على عبده وكل منهما سمي نورا بل هما أعظم أنوار الهداية ، وفي الثالثة بخلق السموات والارض وبحمده تعالى في الآخرة وبصفات الحكمة والخبرة والعلم بما ينزل من السماء وما يعرج فيها — والرابعة بخلق السموات والارض وجعل الملائكة رسلا أولي أجنحة ووصفه بسعة القدرة ، والملائكة من الانوار الالهية التي تنزل من السماء وتعرج فيها . فظهر بهذا ان السور الثلاثة مفصلة لما اجمل في الاولى (الانعام) مما حمد الله عليه كما انها مؤيدة لما فيها من اثبات التوحيد والرسالة والبعث



العصبية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريه)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصبية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فانا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا ويحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر ، آمنين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين الحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مقالة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والملل ، وبينا ان الواجب على أحرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية (القومية) ولا سيا زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ،لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد رأى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصبية الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة ،ولكنهم ما لبثوا ان نزعوا ثوب الرياء الثقاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بغلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل ، فنصحنا لهم أولا بالكتابة وبينا لهم أن تحويل العربي عن عربيته والألباني عن ألبانيته والارمني عن أرمينيته والرومي عن روميته [illegible] كان ممكنا لعقولهم في محاولة تتريك جميع الشعوب العثمانية سياسة لا تنجح

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة لقراء المنار جعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق المذهبي، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكوينهما حقيقة واحدة — اعني الجنسية السياسية العثمانية — وبينت فيها أسباب الخلاف ومثاراتها في الاستانة وما أحدثت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فنفر العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت — ولا تزل — أزمة الحكومة بيده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يف بوعده على انه وفى لي بعقد جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنؤط وسيتلوهم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حملتها على جمعية الاتحاد والترقي في المنار ، والباعث الثاني هو الديني ولا ابحث فيه الآن

لم أكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على أشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تنازل الالوف من جمعيتهم ، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم [illegible] الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم [illegible] انهم اضطروا في اثناء ذلك الجهاد وبعده [illegible] رجعوا عن ذلك

ولما عادت [illegible] الباب العالي والقبض على كامل باشا [illegible] الوضع في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها ، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تقنع الدول الكبرى الاتفاق لها الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لهن ، وتقترض عشرات الملايين منهن ، وبدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه ، بأطيب من النفوذ والحقوق ، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار ولم يمنعهم ذلك عليهم من الاتفاق مع فرنسة على نفوذها في سورية الخ

على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروملي وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحربية هنالك وقريبا على حدود الروس ، فلابد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية اذا هجمت عليها دولة قوية ، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح ، وكان

هذا الامر منبها لكثير من أهل الدولة وافهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكياء الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه

تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي الى مجلس الامة، وتأسست في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فتشددت في موضوع ما طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوذها في المنار، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صارح رئيسها طالب بك النقيب حكومة الاتحاديين بالانكار بل بالعداء، وقد كادت الجمعية له لمحاولت اغتياله فلم تظفر ثم حاسنته وكانته السعي للتوفيق بينها وبين الامير ابن سعود فبذل جهده في ذلك

ثم تعلقت رغبة كثيرين من أذكياء العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاظهار مطالب العرب الاصلاحية المعتدلة، ومهد لذلك حزب اللامركزية فعقد المؤتمر وحضره مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي أحد مندوبي حزب اللامركزية، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته

حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه من الاصلاح المعقول، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى بالتدريج، وكل ذلك مدون في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المنار وفي الجرائد العربية المشهورة . ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من العرب، وقد عده أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين، وكان فريق منهم أشهرهم الزهراوي وعبد الكريم قاسم الخليل يرجحون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء العرب دائما . وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم كطلعت بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الاصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها، كفوا جميعاً عن المطالبة بالاصلاح، وأظهروا الميل الى تأييدها في كل ما تقرره وان لم يعتقدوا أنه الصواب، حذراً من المنازعات الداخلية ، وقد حثثنا عليهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب ، وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه:

« ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والحمية في الاخلاص والطاعة للدولة، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ، والكف المؤقت من طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهمتم في هذا أرق أم الارض التي سكتت عن جميع [illegible]

وماذا جرى بعد [illegible] الاتحاديين [illegible] جمال [illegible] منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يتقرب اليهم [illegible] المتطلعين منهم ويحثهم على الاستمساك بعروة عربيتهم وعثمانيتهم معاً ، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة،حتى اذا ماتم له ما أراد من الاختبار، نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم تقتيلا ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلا

جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شنق في بيروت احد عشر شابا من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق و بعض الاسرى من الجيش وأيدوا لنا الخبر ، ولكنا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفا

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص ونفي بيوت كثيرة الى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتنموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكراه العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد ما يراد منها. وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امات العصبية الجنسية في بلاد العرب المتحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الا حكومة الاستانة، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة لانها زرعتها في البدو والحضر وسقتها بالقسم وبالدم استقل من استقل من جميع الامم، وكنا نخاف منهم هذه المحبة في هذه الايام، لئلا تجيء منافية لمصلحة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية سيبا ليأس الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها، و[illegible] يحمل [illegible] عرب الجزيرة على الخروج عليها، خوفا ان يحل بهم [illegible] وعسير ونجد متذمرون وكل حكامها [illegible] معه وهيب باك قبل هذه الحرب [illegible] الحجاز وجعله كولايات الشام، ولما ظهر عليه الامير ظهرت الدولة لاستياء مما حصل ونسب الى الدفتردار، واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها، بل لا يخفى على أحد من العقلاء ان الدفتردار لا يجرأ على احداث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لايجرأ عليه بدون أمر الاستانة، وأوامر الآستانة في عهد الاتحاديين قسمان — أوامر الجمعية وهي الحاكمة، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقيس وفاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفائها للعرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قررته في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تودد العرب أكثر مما كانت تودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تتم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بإرسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول . فاذا كان مثل انكلترة وألمانية تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وتعد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الالمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ للاسلام، ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من ينتشرون في دار سلطتهم امثال كتاب [قوم جديد] و[صوك كتاب] التي يفضلون فيها زعماءهم الطاورين على الخلفاء الراشدين، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء [illegible] عليهم الصلاة والسلام

وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فهم أجدر الناس بالغيرة على المسلمين ودار الاسلام [illegible] في هذا الزمان، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرونه [illegible] كانوا يرجون ، فيبدو للمنافقين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك لغيرهم وهم لا يشعرون

انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه يهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحيي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفراده ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تجني على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتظلم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام» (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بينا، فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة، وانما كان يقيها منه تنازع أوربة على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأ كبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها وممدودة فيما يقسم بين الغالبين من تراثها اذ

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في فقر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالفعل لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

لجملة القول أن مصلحة المسلمين عامة أن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولا خطر في ذلك على الدولة اذا كان فيها من جراثيم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها ، وستظهر الايام صدق هذا الكلام ، ونسأله تعالى أن يكون بنا فيه هي الاسلام .

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه ، ثم جاءنا وبعد ذلك اخبار أمير مكة الشريف ... [illegible] ... الجزء التالي فنا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركيه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية، فهو يروض الاجساد ، كما تعطش الزروع وتضمر الجياد ، فيفني الرطوبات والمواد الرواسب فيها ، التي تصلب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها ، ويعيد المعد المصابة بالتمدد الى تقلصها وتنفضها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كرمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، ويمرن المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار، فيسهلان عليه اذا ألجأه إليهما الاضطرار، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال ، ويشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، ويساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المربي الاعظم للارادة ، وانما يتفاضل أعاظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فولاها لما استسهل صعب ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولاسيما مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتى يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالامانة الا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، وناهيك بأمانة الاعراض ، والمحافظة على شرف النساء

وهو فوق ذلك مراقبة لله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضيه من تزكية النفس ، وتوجه الى الكمال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصديقين ، بل الملائكة المقربين

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة وقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأناً وأشدها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظمأ والماء البارد أمامه [illegible] إلى ملامسة زوجه وهي منه على طرف الثمام [illegible] بوازع الايمان ، ابتغاء لمرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقواها مدة شهر كامل في كل عام على الاقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا العبث بشيء من أعراضهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضروريات الحياة مما أحل الله له وقرب منه متناوله يكون أقدر على ترك ما حرّم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها ، وأجدر بأن يغلب هوى النفس الذي يغريه بها ؟ بلى وان من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق » وهذا أمر معقول كما ترى ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائعا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضعه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عباده — جدير بأن لا يعصي الله تعالى بتكلف سرقة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالي بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

على الله تعالى فرض الصيام علينا ، أ ، هو الذي يعدنا ويؤهلنا للتقوى ، قال (كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وإنما التقوى ملكة يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يدنس نفسه ويدسيها من ترك واجب ، أو اقتراف محظور ، ولذلك قالوا انها عبارة عن القيام بالواجبات وترك المحرمات ، وهذه الملكة كسائر الملكات ، تكتسب بالاعمال النفسية والبدنية التي يقوى بها سلطان الارادة على نزعات الاهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الارادة) انه لا مربي للارادة كالصيام ، ولأجل هذا شرع في جميع الاديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكة وبسائر فوائد الصيام الروحية والاجتماعية والجسدية من جمعوا بين حكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فالاسلام علمٌ وتربية ، بنيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) وقد ... كثير من الناس حكمة العبادة ويجهلون ثمرتها ، وان لم يتقوا بالعلم ان ذلك هو مصلحة في شرعة العلماء ، كما يستفيد بعض الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفاء من مرض ألم به ، أولئك هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة انها ترضي الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليدا ومجاراة لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كسائر العادات الشخصية والاجتماعية ، لا ينوي به قربة ، ولا يشعر له بفائدة ، ولا يفكر في حكمة الشارع فيه ، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عاداته ، قد يصوم ولا يصلي ، وقد يصوم ويصلي وهو مصر على المعاصي ، فهو الذي يصدق على صيامه ما قاله بعض الاوربيين في تعريف الصيام ، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وانما كان الصيام بجعله جنة ووقاية من جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام جُنّة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السنن الاربعة، والرفث صريح الكلام في الوقاع أو ما يتحدث به الزوجان في تلك الحال، والصخب الجلبة والصياح ، فاذا كان مثل هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراف كبائر الآثام ? بل أن مثل هذا الصائم خير من تارك الصيام ولاسيما المجاهر به ، فاذا كان مثله كمن يبني قصراً ويهدم مصراً ، فان مثل تاركي الصيام من أمثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والأمصار

***

يترك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات ، تتفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات : طبقة نحوت الدوهاء الارذلين ، وطبقة أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدعياء المدنية المقلدين، فأما أولئك النحوت السفهاء فانهم لا يشعرون بقية لأنفسهم يشاركون بها [illegible] طبقات الامة في شعائرهم الدينية دع ما هو أرقى من ذلك كالشعور [illegible] من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب اليه والاستعداد [illegible] ما ورثوه من تقاليد الاديان التي كان [illegible] ذوي الاضرحة التي خلدت سنة الذين [illegible] يطاف بها ، وبناء القباب عليها — واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم يحشر الناس اليها بجوار تلك القباب ، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام أخرى من السنة ، يرحل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال ، مشاة حفاة وركباناً على الحمير والجمال ، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة المعروفة

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحدة المتفرنجين الذين هم شر على هذه الامة من كل عدو لها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الارادة ما يقدرون به على مغالبة الهوى وعصيان داعي اللذة ، أو حبس النفس على عمل شاق ، وهم أشد الناس حاجة الى الصيام ، فان هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما يضعف النفس . واذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الاعداء عنها ، والقيام بالاعمال الشاقة التي ترقى بها الامم وثبتت عليها،وقضي عليها أن تكون مستعبدة لغيرها ، وأي عذر على الفتى الجلد،أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم ما كبير من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعدّ له بعدها الشراب المبرد وألوان الطعام الفاخرة؟ أيها الجذع الناشئ، أيها الكهل القارح، أولى لك فأولى، وغير هذا كان بك أولى، كان أولى بك أيها الفتى أن تفتخر بالتربية على صفات الرجولية، واعتياد التقشف الاختياري في المعيشة، ومنه أن لا تسرف في التنعم المباح في ليالي رمضان، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين، في المحافظة على شعائر الدين، وعلى الآداب والاعمال، التي يبلغون بها درجة الكمال، وأهمها ركوب الصعب، واكتساب ملكة الصبر، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، ألا وان الصيام جد الصيام أول مقدماتها، وأيسر وسائلها

وأما أدعياء المدنية المقلدون فهم الذين يفطرون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمنافقون من المسلمين انهم « متمدنون » وهذه الطبقة أخس الطبقات فلا يتمحل لها عذر ولا يوجه اليها [illegible]

عذر الملحد [illegible] في ترك الصيام [illegible] الديني، ولم يترجح عنده باعث تهذيبي، وعذر المرف الشهواني عند نفسه (عجزه عن كبح جماح لذاته لتحكم الهوى فيها، وضعف الوازع الديني عنها، والمهول الساقل من نحوت الناس له عذر هذين الفريقين وعذر آخر وراءهما — وهو انه لا يخطر في باله ولا يصل علمه الى ما يعلمه كثير من أفرادهما من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينتسب اليه، وشعارا للامة التي هو منها، وان العاقل الذي يرى لنفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفها، وذله بمهانتها، وانه مطالب دينا وعقلا بحقوق لها عليه، وان دين الامة من مقومات وجودها، فمن فاته الايمان الباعث على اقامة أركانه لاجل سعادة الآخرة، لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة، فبهذا العلم يؤاخذ ويطالب كل من أوتي نصيبا منه، وترتفع المؤاخذة عمن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى ان نفسه لا تتوجه الى طلبه، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وان كانوا أصحاء الاجسام، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام، والصواب ان ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع، لان التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وأنفسهم ، حتى صار تغييرها يؤلمهم أو يضجرهم ، وانما هذا الالم والضجر عرضان لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »

اذا صح أن يكون في الالحاد عذر للملحد، وفي ضعف الارادة عذر للمترف ، وفي تغيير العادة ايلام للمهفهف ، فياليت شعري بم يعذر نفسه أو يعتذر عنها من يجاهر منهم بالفطر ؟ المجاهرة بالذنب شر من ارتكاب الذنب ، لان ارتكابه سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترفه، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى غيره، لانه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا لاقتراف ذلك الذنب تجرئه على اقترافه. ولان في الجهر به اذا كان من الشعائر الملية — كالصيام — احتقارا للملة والامة التي ينتسب المفطر اليها ، وإضعافا لرابطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها

هاهنا يضحك القارئ من هؤلاء المساكين ، لا تضحكوا الا على أنفسكم بل ابكوا عليها ان [illegible] يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولا من أفراد الامة فيرمى بهما [illegible] وأنه يعد الجهر بالافطار في رمضان من الشجاعة الادبية والاستهزاء به من الضعف والنفاق. ونقول: كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا وكلهم منافقون يدعون الاسلام ويلتزمون من احكامه وشعائره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ، كالاحكام والشعائر وكذا العادات المتعلقة بالزواج والموت والاعياد ، ويخضعون لشريعته في أحكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحدهم الشجاعة المعنوية بهتك شعار الصيام، فقل له كذبت في دعواك، فان كنت شجاعا فصرح على رؤوس الاشهاد بالردة عن الاسلام واترك كل ما هو اسلامي ، ولا تتزوج نساء المسلمين ولا تأكل تراثهم ، ولا تتول الاعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء معصية الافطار فليست مع صحة العقيدة من النفاق ، بل من اخفاء العيوب والعورات

قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية اللغة وجنسية النسب ، وان العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها بالوراثة أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فان الاسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كاقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له الا بصحة العقيدة وما يتبعها من الاعمال ، ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة الا ما يقع من الاخلال بها شذوذا كما كان المنافقون يعملون في الصدر الاول. فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولا يقيم شيئا من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف اذا كان مع هذا مجاهرا بهدم هذه الاركان بلا خوف من الله ولا احترام لاهل هذه الجنسية .

على أن كل منتمٍ الى جنس يجب عليه أن يحترم من يشاركه فيها اخوانا له وأن يحترم كل ما يشترك فيه معهم من مقومات [illegible] ومشخصاتها، والا كان عاقا لها مستحقا للطرد والابعاد عنها ، بدلا من مشاركة أهلها في مناقبها الصورية والمعنوية ، وهؤلاء المجاهرون [illegible] الجنسية الاسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء [illegible] الاعمال التي لا تعرف الجنسية الاسلامية الا بها .

الحق أقول : ان لبعض الذين يفطرون في رمضان عذرا طبيا، ولا يعد عذر طبي الا ان يكون شرعيا ، (كعذر المريض والمسافر والعاجز عن الصيام لهرم مثلا) ولكن لا عذر لاحد في الجهر بالافطار ، لانه احتقار للاسلام وإهانة لاهله، لا تصدر اختيارا الا من عدو له ولهم ، أو ممن لا شعور له بمعنى الامة والملة وشرفهما كبعض الكناسين والزبالين — لا كلهم — وكم يوجد من أمثالهم في المتعلمين المتفرنجين الذين يظنون أنهم ممتازون في الامة بارتقائهم في الشؤون الاجتماعية وأنهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وان اجدر الامة ان تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتهان شعائره والانهماك بالتمتع بالشهوات ، وحسبهم شرفا وارتقاء ما يتوهمون من عد غير المتدينين لهم من « المتمدنين » أو « المتنورين » ! ويا شقاء أمة يكثر فيها أمثال هؤلاء المتنورين ، فانها لا ترتقي بهم الا الى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومكان الاغنياء وسائر الطبقات منها

١

الانسان عالم اجتماعي لا يصل فرد من أفراده ولا شعب من شعوبه الى كماله المقدر له الا بالاعمال الاجتماعية التي يتعاون عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس، وعلى قدر هذا التعاون يكون القرب من الكمال الاجتماعي والبعد عنه، فالامم بالافراد والافراد بالامم . فهنيئا للامة التي تقسم بسعي أفرادها غارب العز والسيادة، وتتسنم ربح القوة والسعادة، « و يا ويح الرجل الذي ليس أمة » (٢) وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة، لولا [illegible] في الكلام، كقولنا في صور الناس وتماثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المسلمون جمع كبير [illegible] بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه [illegible] بالاعمال الاجتماعية التي تتحقق بها مقومات الامم ومشخصاتها، وتحفظ بها مصالحها ومنافعها، وللمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطلب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه . ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنوانها (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب ، وترجمها بالتركية أحد فضلاء الآستانة وطبعها في رسالة مستقلة بالقلتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن تؤول اليه حالهم، فباعتبار ان ذلك الاستعمال من مجاز الكون بينا غير مرة في تلك المقالات أن الاصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة « تكوين الامة » اذ لا أمة في الحقيقة ، وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الأول يتسع مجال الاطلاق . وكثيرا ما بنينا الكلام على تحقق الرجاء ، وصرحنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة ، وأنها الآن في سن الطفولة ، وان ما تتصدى له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكثر لانه من

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لشيخنا الاستاذ الامام

قبيل أعمال الاطفال . وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (*) وذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختيها الفرنسية والانكليزية، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسهن بأموال الامراء والاغنياء غارقا في الدين، وبيع أثاثه وورثه بالمزاد، ثم سقوط جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقوط (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر، وكان لكل منها شركة وحزب ورأس مال مؤلف من ألوف الجنيهات وأنصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد بينا وجه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالأخريين في ترجمة الشيخ علي يوسف في المجلد السابع عشر (ص ٦٩)

وما لي لا أذكر وأذكر في هذا المقام ذلك الفاتحة الوجيزة للمنار التي كانت أول ما كتب [illegible] له ، قد ارتسمنا ما رسمناه لعقبها فلم [illegible] المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما نقصد اليه بانشاء المنار من الجد والاصلاح ، ولى وجود أفراد تنبهت أنفسهم لاصلاح الخلل، وتوجهت هممهم لمداواة العلل، ولى ان الغرض من انشاء المنار ان يكون لسان حال هؤلاء، وحادي ركبهم في سبيل التجديد المطلوب، ثم ظهر لنا ان رجاءنا في هذه الفئة كان أكبر منها في نفسها

تيسر لنا بهذا المنار أن نختبر حال المسلمين اختبارا لا يكاد يتيسر بوسيلة أخرى، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيدا لما كنا عليه قبلهما من الوقوف بين الخوف والرجاء وترجيح الامل على اليأس ترجيحا يبعث على الجهاد والثبات على العمل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول للسنة الاولى

كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثرت في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعاة الاصلاح ،

* إراجع مقالة (طفولية الامة وما فيها من الطبية والشبة الخ ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الجرائد والامة وحالهما في الامة) في ص ٧٥٣ م ٢

ثم زاد عدد هؤلاء المحبين للاصلاح بتأثير المنار ، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستدعت كتابة هذا المقال ، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذا في المدارس ، وقد اشرب قلبه حب الاصلاح ، فهو فيه على علم ووجدان واخلاص ، ولكنه على علمه وسعة اختياره لما في هذه البلاد من الفسق وفساد الاخلاق ، أقوى ما رجاه في مسلميها وفي غيرهم ، وانا نخشى ان يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر ، ودعوته لقومه لم تجب ، فأحببنا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفا مما نشرنا في تموالي السنين ، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين ، لعله يذهب بغرور المغرم في التفاؤل ، ويمسك رمق الرجاء على المهوي الى اليأس ، وينفخ نسمة الرجاء في اليائس ، فنقول :

ان في المسلمين كثيرا من بقايا الفضائل الموروثة ، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية ، وكثيرا من الرذائل والامراض روحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ما حل بالمسلمين من [illegible] كل من يشعر بها بقدر شعوره ، وقد استيقظ في بعضهم [illegible] وتصدى بعض حكامهم وبعض أفرادهم الى اصلاح ما فسد ، وتجديد ما خلق وبناء ما انهدم ، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر ، وانما لم يفلح أحد منهم لان الحكام القادرين على تنفيذ الاصلاح لا يعرفون طريقه ، والافراد الذين يعرفون كنه الاصلاح لا يقدرون على تنفيذه

إنما تنهض الامة بالاصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور ، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد ، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصلحة العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد

ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا ببذل المال والنفس فمن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن ، ولذلك جعل الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان مثل قوله (٢٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح يحتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لإراقة الدم ، وانما الاصلاح الذي أسسه المنار ثم مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهذيبي يقوم بالمال ، وانما أنشأنا هذه المقالة لبيان حال من دعاهم ذلك المخلص الغيور في رسالته الى النهوض بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار

الا وان الاغنياء أول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكر فيه بذل المال ، وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمتنا كلها أغنياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ، بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشحة على الخير ، لايكاد يخرج المال من أيديهم الا على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبغي وقواد ، أو رشوة لحاكم شرير ، أو تزلفا الى سلطان او أمير أو مدير ، وقلما يبذله أحدهم في هذا العصر للجمعيات الخيرية أو المدارس أو جمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصليب الاحمر الا رياء وتزلفا للحكام والامراء ، وهذا مما يسلمه الكل [illegible] أو كالضروري .

وأما غير المنافق المرائي من الأغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن بصدده فريقان : فريق لايرجى منه خير للاسلام بل يخشى شره ، وفريق قلما يرجى الخير من غيره . فأما الفريق الاول فثلاثة أصناف : ملاحدة المتفرنجين ، ومنافقو المعممين ، وبحوت الفقراء الجاهلين ، الذين لايكادون يفقهون حديثا ، ولا يعقلون للامة والملة معنى ، وقد بينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك الملاحدة والمنافقين من تصدى لمقاومة مدرسة الدعوة والارشاد ، بنفث سموم السعاية لمنع إعانة وزارة الاوقاف وديوان الاوقاف ، كما سعى أمثالهم وأقتالهم من قبل في الجمعة الخيرية الاسلامية حتى زعموا أنها تمد مهدي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية

وأما الفريق الثاني وهو الوسط في شؤونه العقلية أو الدينية ، أو شؤونه الاجتماعية أو المعاشية ، فيتألف من أصناف يقل فيها الغنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ، والاغنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف تربى تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة من مزج السنن بالبدع ، والخرافات بالحقائق ، فهم لا يفقهون من بذل المال في سبيل

البر الابناء مسجد ولو في مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين . (وانما يكون هذا من الخير اذا لم يبن المسجد على قبر أحد من الصالحين، والا كان صاحبه ملعونا على لسان خاتم النبيين) — أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد ورجب ، وكل ذلك من المعاصي وبدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وان تضمنت إطعام بعض الفقراء الطعام المبتدع لاجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للاعمال الاصلاحية كمشروع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربى أفراده على الفرنج ولكن لم يكونوا كجماهير المتفرنجين الذين لاحظ لهم من حياتهم الا تقليد الافرنج في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللهو واللعب كتربية الكلاب والعناية بها والركوب معها، بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة، لا لرياء الجمهور، ولا تزلفا لحاكم أو أمير، بل [illegible] النفع، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا [illegible] الاجتماعية. ولعل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم ، ومن عساه يوجد منهم فقد يبذل المال للمساعدة على تعلم الموسيقى والتصوير أو الالعاب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأنى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في انحاء البلاد لتعليم العوام ما يزجرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدران البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح وهم الذين أوتوا نصيبا من التربية الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيبا من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه من الاصلاح، والغني في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ، الا أن يغلبه على دينه وعقله البخل الفاحش والشح المطاع وإيثار وعد الشيطان بالفقر على وعد الله بالمغفرة والاخلاف، واذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا — وهما كالطرفين له — مما يصعب

اقناع افرادها بوجوب المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لايحتاج الى اقناع ، ولا يخفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء هذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى ديهم الوهن ، فضعفت عزائمهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي ، فهم يودون اصلاح حال المسلمين ، ويعتقدون أن ذلك لايرجى الا من طريق الدين ، وانما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم الهمة الى المساعدة عليه بأموالهم ولا بأنفسهم ،

تلك أصناف الاغنياء ، الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في أنفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بامر الامة ، وقد علم أن من يوجد في هذه البلاد منهم قليل ، وان الرجاء في هذا القليل [illegible]

فريق من فريق المتدلين الذين يرجى رفدهم لا المثرون الذين لايقدرون على مساعدة الاصلاح [illegible] اللائقة بامثالهم كصاحب الرسالة [illegible] في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثر أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أظن أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فعلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون ، وان ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لاغناء فيه ، لان اكثر الانفس أحضرت الشح ، واستحوذ عليها الصغار والذل ، وكذبت وعد الله بالاخلاف على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفقر ، ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل انما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجة اليها ، ووجدان ايمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجدان شرف باذخ تنال به سعادة الاولى فقط ، على أن باعث الشرف وباعث الايمان ، قد يتلاقيان ويتصافحان ، واني أوضح هذا المقام بأمثال ، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرجى أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصرح باسم

واحد منهم وهو رياض باشا تغمده الله برحمته ، ذلك الرجل الذي انفرد في كبراء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن يخيب فيه رجاء ، ولا يفوته مساعدة عمل من أعمال الخير ، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والإرشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه ، وإنما عرف منه أنه مدرسة خيرية ، فخصه بمثل ما خص به مدرسة محمد علي الصناعية ، وهي المدرسة التي تولى رياسة جمع الاعانات لها ، على أن الخديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكاراً لمرور مئة سنة على ملكه لم يعطها أكثر من ذلك . فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل

وأما الاثنان لا أصرح باسميهما فقد كان رجاؤنا في أحدهما أكبر من رجائنا في رياض باشا ، وهو أوسع منه ثروة وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه ، بل قال فيه كلاماً يؤثر ويدون له ، (منه) انه طالما فكر فيه وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم ، وانه يود لو يكون عضواً عاملا فيه ، وانما يمنعه من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته [illegible] ، ومثل ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يعملون ، ويدعون الاعمال ولا يعملون (كذا) (منه) أن هذا العمل سيلقى صعوباته وتوضع في طريقه العقبات ، وانه لا يقول هذا تثبيطا (أي) بل تنبيها ، ولا تنصلا من المساعدة فانه سيساعد بالمال ، ثم انه اكد هذا الوعد غير مرة لنا ، وذكره لغيرنا ، وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجازه شهر رجب الماضي

وأما الثالث فوجيه معروف بالعلم والفضل والتدين ، وقد كان منّانا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي ، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد ، وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة النقد كل سنة أضعاف ما يملكه صاحب الرسالة التي تكلم في موضوعها ، وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما ننتظر من مساعدته لانقطاع اعانة الاوقاف عنا ، وبنفاد ما قد جمع لها ، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد ، وهو العسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنى أغنيائنا ، واشتراك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استنجار دار

لمدرسة خيرية ، فهل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ماجاء به من النصيحة والتذكير يبسطان الايدي المغلولة ، وينبهان[1] الانفس المغسولة[2] ، فتتدفق الدنانير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدفقت على جمعية الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعية الهلال الاحمر من قبل ? ان كان يظن ذلك فما نحن بظانين ، ولا نحن من فضل الله وحياة المسلمين يائسين . ولكننا بعد طول الاختبار لانغتر بوعد واعد، ولا بثبات متبرع ولاواهب، وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما ... لكنها خطرات من وساوسه

كلا انه لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة كمدرستنا أو مدرسة دونها الا بقوة الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا لنا من قبل ولم نطرق بابه ، وأما اليوم فلا نرجو كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل المال تقربا الى الامراء والحكام فمعروف ، وأما امساكه عن المصالح العامة فسببه ضعف الايمان، وضعف وجدان [illegible] مما يؤلمنا من المقاصد العالية والاعمال العظيمة [illegible] ذلك في نابتها

هذا وانا بعد هذا البيان نقول لصاحب تلك الرسالة وغيره من أهل الغيرة ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعينا اليه في الآستانة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فبهذا يستقر ويوثق ثباته واستمراره ويشتهر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فاذا ظفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك، والا جعلنا المدرسة خارجية، وأنفقنا عليها مما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والاخلاص مهتدين بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

١) للتثنية هنا معنيان أحدهما حمل الحامل نبيه التالي وثانيهما إيقاظ الغافل
٢) المغسول الضعيف الخامل الذي لامروءة له

السنة وصحتها والشريعة ومتانتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

٢

﴿ تتمة واستدراك — استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل والله من نوابغ البشر في الحفظ والضبط للحفظ وقوة الذكر (الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التي تقع بعده، ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه ولو انفرد بمثله غير صحابي لعدّ من العلل التي يتثبت بها في روايته، كما هو المعهود عند نقاد الحديث أهل الجرح والتعديل، ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صدقي، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير اسلامية ببلاد الشام. وكان ذلك في أوائل العهد بطلبي العلم. ومن عرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة يجزم بعدالته وبراءته من الكذب على أحد من الناس، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه انه قال «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صدقي في حديث الذباب — وتطرقه فيه الى الارتياب في رواية أبي هريرة — اذ بينت بالايجاز انه لا مجال للطعن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الذباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة الا اذا أحصيت تلك

الروايات ولا سيما ما انفرد به ابو هريرة منها ، ودقق النظر في أسانيدها ومتونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، وامهات هذه الاحتمالات أربعة :

(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صُحح

(ثانيا) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه بالمعنى وقد وقع الغلط من أحد الرواة في فهمه فنقله كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أوغيره ممن روى عنه وعده بعض الرواة حديثا لاجتهاده بأن مثله لا يقال بالرأي ، فما قاله العلماء من أن قول الصحابي اذا كان لا يقال مثله بالرأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك، فما يعده بعضهم منه لا يعده الآخر منه ،

(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب السامع ممن أسلم منهم ككعب الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعده من قبيل المرفوع من يأخذ ذلك القول فيعده نبويا ، وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار وأن معاوية قال في كعب الاحبار انهم كانوا يبلون (أي يختبرون) عليه الكذب،وقد تقدم ذلك في هذا المقال نقلا عن البخاري ، واني كنت أسيء الظن في روايات كعب الاحبار قبل أن أرى مارواه البخاري عن معاوية فيه، وكذا وهب بن منبه،

ثم اني بعد كتابة ما تقدم وقبل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير الحافظ ابن كثير بعد ذكر عدة روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام ما نصه :

« والاقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان ومما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة » اه

لجملة القول في هذه الاحاديث المشكلة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص) أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في أسانيدها أولا فاذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفينا أمرها وكذا اذا

كان فيها انقطاع أو ارسال، والا نظرنا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها الجرح كغلط الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يعز اليه . ولا يغرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لامجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، فاذا ثبت ان أبا هريرة مثلا كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يتروّى في كل غريب لم يصرح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمل ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) يوقع في الاشكال .

لا يتسع هذا الموضع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكنا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه أكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدث به تميم الداري رسول الله (ص) وأخرجه مسلم في صحيحه مرفوعاً من طرق يخالف بعضها بعضاً في متنه ، فهذا الاختلاف في المتن علته من بعض رواة الصحيح ، ولا يظهر حمله على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري لا تخرج سندها من العلل هل تجعل الحديث ملحقاً بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق أصله ، قياسا على اجازته (ص) أو تقريره للعمل إذ يدل على حله وجوازه؟ الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الغيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة، وكثيراً ما صدق المنافقين والكفار في أحاديثهم، وحديث العرنيين وأصحاب بئر معونة مما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختبار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي، والعصمة من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في أمر الدين وما يتعلق بدعوته وحفظ من جاء به وتصديق الكاذب ليس كذباً . وحسبك ان تتأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله إذ أذن لبعض المعتذرين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به وهو قوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء ينافي منصب الرسالة ، أفلا يجوز على من دونهم ان يصدقوا الكاذب في اي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه ؟ ومن صدق شيئاً يجوز أن يحدث به من غير عزو الى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلا في الصدر الاول من الاسلام، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان بيت شعر او كلمة مجنون

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان الاحاديث المشكلة الصحيحة الاسناد قليلة فما رواه ابو هريرة منها قليل من قليل، وما انفرد به منه أقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها اثبات اصل من اصول الدين ، والحمد لله رب العالمين



﴿ الجملة الخامسة الخاتمة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جملة دعاويه ان الشريعة لا قيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾

قال بعد سرد ما تقدم من الشبهات على رواية أبي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس أساس الشريعة ، ولكن ما هي قيمتها ؟ ان السؤال مهم جداً وطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون سني الموجودين في العالم . اه بحروفه

اشتملت هذه الخاتمة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكمي ، ووجه هذا السؤال فيها الى ثلاث مئة مليون سني [1] أي الى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا ؟ لان السؤال مهم جداً في نظر القسيس المبشر المتصدي هو وحميته لتعيير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جداً !! خ خ

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين ان المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عاهل ألمانية غليوم الثاني ، والظاهر ان أهل السنة وحدهم صاروا يبلغون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، وثم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وتاريخهم من النصارى وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستنبط منها – وهو الاقرب – أو أصول مقاصدها وهي العقائد والاحكام والآداب، ونستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فندنا به القضية الثالثة من قضايا الجملة الاولى من مقاله (راجع ص ٣٨ ج ١) ثم نقول:

إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها ولا فروعها ، وانما رويا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لابي هريرة ٤٤٦ حديثا في صحيحه ، ونقول هنا انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثا . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة من الاحاديث لم ينفردا به وانما شاركهما في رواية الكثير منه غيرهما ، ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلاجدا، وعلمنا انه لو لم يروه لما نقصت كتب الاحكام شيئا كثيرا ، وان ما عسى أن تنقصه يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية، كقاعدة رفع الحرج والعسر، واثبات اليسر وترجيحه، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة، وكون الاصل في كل الخبائث والمضرات الحرمة ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وغير ذلك مما لامجال لتفصيله في هذا الرد

« قيمة الشريعة الاسلامية »

الجواب عن الاستفهام التهكمي

لا أرى شبها لسؤال القس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن الشمس ما فائدتها للدنيا ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهواء ما فائدتهما للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهكم أو سؤال استفهام ، وانما نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز، لان التفصيل لا يأتي الا بتصنيف كتاب كبير . فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تثبت نبوة من جاء بها

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتابا، ولم يكتب سطرا ولا حرفا، ولا قال شعرا ولا ارتجل خطبة، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية، ولا انتحل كهانة ولا عرافة، ولا عرف شيئا من شرائع الامم وأديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة، وأيد دعواه بكتاب اشتمل على اخبار الغيب الماضية والمستقبلة، وسنن الله في الدين والمدنية، وعلى أصح علوم العقائد الالهية، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية، وأصلح علوم الاخلاق والفضائل النفسية، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جراثيم الوثنية، وطهر الامم من الخرافات التقليدية واخلاق الجاهلية، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل، ودولة أحيت الحضارة وامتدت من المشرق الى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الامي [illegible] كل رجل جاء بلدا مصابا بالاوبئة الجتاحة والامراض المعضلة فادعى التطبيب وأيد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الامراض والاوبئة، فأصبح أهله متمتعين بكمال الصحة والعافية

فكما يجزم كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتابا في الطب يزيل بالعمل به الاوبئة ويشفي المرضى — كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها، الا أن يكون نبيا مؤيدا بوحي الله وعنايته العليا، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة. دع إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الالهي الحق، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا رأي، واما

وضمير ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر

(٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها تواترا حقيقيا ، ورويت سنتها رواية متصلة الاسناد ، ودُوّن تاريخ رواتها تدوينا مبنيا على ركني النقد والتمحيص ، الذي يميز به بين الصحيح وغير الصحيح ،

(٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر وأعتقتهم من رق رؤساء الدين ، الذي أرهق الغابرين ، فلم تجعل لأحد سيطرة روحية على أحد ، فليس فيها كهنة ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو تتوقف اقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وانما خوطب البشر بها على سواء ، فهم يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة ،

(٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا لأنفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شورى بين أهل الحل والعقد ، من أهل العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونه أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم تجعل للخلفاء أو السلاطين ، امتيازا على أحد من الفقراء والصعاليك ، لا في حكم من الاحكام المدنية ، ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية ، وقد وافقتها بعض الامم في بعض هذه الاصول أو اتبعتها منها ، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها ، ولكن لم يبلغ احد شأوها الى هذا اليوم ، وانما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون أنفسهم أهلها .

(٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين اهلها المؤمنين بها ، وبين الكافرين بها اذا تحاكموا اليها ، سواء كانوا من اهل ذمتها ، او من الاجانب المعاهدين لحكومتها ، او الحربيين الداخلين في امان احد من اهلها ، فلا فرق في احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين ، وبين أضعف أهل الكتاب أو الوثنيين ، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون أنفسهم على غيرهم ، فلا يرون المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسيوي مساويا للامريكي

(٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وساوت بينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق بالمعروف ، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وان كلمة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لأجمع من كثير من الاسفار التي ألفت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، ألا وهي قوله عز وجل

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت الرجل بحق — وهي رياسة البيت — لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطالب بجميع النفقة ، تشبه الرياسة العامة فيما شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وفطامه (فإن أرادا فِصالاً عن تراضٍ منهما وتشاورٍ فلا جناح عليهما) وقد اهتدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منهم شأوها ، ولكن أهلها قصروا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يجهلها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي جعلت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب ، وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للعبادة ، وجعلتها ضرورة تقدر بقدرها ، وأمرت بالجنوح للسلم أن جنح العدو لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوربة وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية . وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ماعرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع استعباد جميع أفراد الشعب المسالم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يحارب عند الظفر به وجعل جميع نسائه وأطفاله وما يملكه غنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكناها ، وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه امتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الأغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن نفقاتهم يصرف لإعانة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم، ولمساعدة الغارمين على ما يحملون من الغرامات للاصلاح بين الناس، ولأبناء السبيل الذين يسيحون في الارض فتنفد نفقاتهم قبل عودتهم الى أوطانهم، ولغير ذلك من المصالح العامة، ولو أقام المسلمون في هذا العصر هذا الركن كما كان يقيمه سلفهم الصالح لما وجد فيهم فقير مهين، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم، ولكان السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الارض وخرت بقاعها والاعتبار بأحوال الامم فيها أكثر من سائحي غيرهم من الامم، اذ حثهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في سورة المؤمن (أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) الخ

(١٠) أن هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الإلهية، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد أكمل بها الدين الحق وجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد، ومنح الامة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام بما وهب لها من فضيلة الاستقلال، بعد أن أعدّها لذلك بسنة الارتقاء، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل، وما يتجناه عليها العدو العاقل، وقد بينا هذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا، كمقالات المصلح والمقلد والفتاوى البارزية، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم) وطالما فندنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها. فان أمكن لهذا المجادل فيها أن يشكك أهلها فيها بما زعمه من ارتياب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو بغير ذلك من الدعاوي (وان يمكن) فلا يجني من ذلك الا انصراف ثلاث مئة مليون سني ربما يقتضيهم ثلاثين مليونا من الشيعة

وسائر الطوائف الاسلامية من الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المعصوم وكلمته التي ألقاها الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتقاد ملاحدة الاوربيين من الانكليز وغيرهم كمؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) ومؤلف كتاب (اسرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس الذل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة، وادارة الخدين لكل من يريد صفعهما، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء،، (مت١٩: ٢٣)

لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تمحيص الشاك فيها حتما لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — ظهر طاهر في التشكيك، ولكن لا تلازم بين الامرين، بل علمنا بالتجارب والاخبار أن اكثر الذين يمرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية [illegible] صار نصرانيا ظاهرا وباطنا، بل هم في [illegible] الذين يظهرون النصرانية للمبشرين لاجل أن يطعموهم، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ماعرف من تقاليد قومه، وقلما يفتح لاحد منهم باب الرزق عند المسلمين الا ويفر اليه مفضلا له على الارتزاق بالنفاق، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكلما فتح لاحدهم باب منها تاب وأناب، فأين هؤلاء الموغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكليز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كاللورد هدلي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحيا — وعلل ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجمال، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل. ومعناه نص بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كماله في آخره (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فالمسلم

ينظر الى ملة كل من نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر — الى القرن العشرين ، ولكنه لا يترك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية، ولا يعدّ نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقية أديانهم وشرائعهم ومناسبتها لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المتممة المكملة الناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا نفرّق بين احد من رسله) ولكنهم يتبعون الآخر منهم

وانا نرى المبشرين يحاولون اقناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولو تم لهم هذا لما أفادهم شيئا ، فان المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة أتباعهم [illegible] محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته و[illegible] من اهتدى به ؛ ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الضالة كما قال عن نفسه (مت ١٥ : ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكملة الخاتمة الناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلماء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني اسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضول من المزايا ما لا يوجد في الفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدهم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلاتكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جمعياتكم ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبعدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من حب سيدنا عيسى وأمه وحواريه والثناء عليهم بما أثنى الله تعالى ورسوله (ص) فان كثيرا من العوام صاروا يعتقدون مما يسمعون منكم ويقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

ومن العجيب ان واحدا من كبار هؤلاء علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بغضتم اليه المسيح ... فقلت له لا ينبغي لمثل سعادتك ان يسترسل مع وجدانه الى هذا الحد، ولا يخفى عنك ان بغض المسيح عليه السلام كفر، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالطعن في عدالة أبي هريرة، فقد علمتم أن الطعن في أبي هريرة لو كان صادقا ما حط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل، ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا، ولكن كثيرا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام ما أتى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام، حتى اني قلت متذ سنين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن نقول فيه كما تقولون وان لم نعقل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين

أيها المبشرون الغيورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوربيين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطعنوا فيها أشد الطعن لان تعاليم الاناجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضة، وأما الاسلام فهو دين وسط، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية لانه كان تقدم مسيحية وزيادة

وإنما يخشى على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فمدارسكم الافرنجية الدينية منها وغير الدينية ، هي التي تكفل لكم التشكيك في الاسلام ، لا الطعن في أبي هريرة ولا ابن عباس ، فتعالوا نتعاون على مجاهدة هذه التعاليم المادية، التي كانت آفتها شديدة على الاسلامية ولكنها على النصرانية أشد ، ودليل ذلك أنها لم تمنع كثيراً من المتعلمين الباحثين من ترك النصرانية الى الاسلام ، وان الملاحدة منا أقل من الملاحدة منكم

ما رأيت كلاما لاحد من الاوربيين المستشرقين في الاسلام والمسلمين بني على الخبرة والمعرفة ككلام الدكتور سنوك الهولندي ، وقد بين في خطبته التي ألقاها منذ سنين في مدرسة كليفورنية الجامعة في الولايات المتحدة أن القضاء على الاسلام الديني بالتبشير المسيحي محال ، وان المسلمين لن يكونوا نصارى أبداً، وان طريقة اللاتين في [illegible] الاسلام من طريقة البروتستانت في [illegible] دعوة الدين ، واعترفوا مع هذا بما رأوه من تفضيل أكثر المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

انا لا أخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم ، وانما أخاف على المسلمين من الفلسفة المادية والمدنية الشهوانية ، ومن منافقيهم وعباد الشهوات منهم ، فهم الذين يجنون على دينهم ودنياهم وانما أوصيكم بأن تجتنبوا فيما تقولون في مجامعكم التبشيرية، وما تطبعون في رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية، ويخدش الوحدة الوطنية ، (٥ : ٥٢ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا [illegible] الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ١٧ : ٨٤ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)

المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة في ذكرى بلوغ المقتطف سن الاربعين بسياسة العيدة

طالما تشوفت النفس أهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة بلسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم وسمارهم . وكثيراً ما هموا ولم يفعلوا، وما اقدموا ثم احجموا، وما بدأوا ثم لم يثبتوا وقد كان عدم تيسر المكان اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله الا انه أنشأ الاساتذة المتخرجون من مدرسة دار العلوم ناديهم منذ سنين قليلة تعلقت آمال كثير من الناس بهم ، وكان اختيارهم حتى بك [illegible] ماهم هذا النادي ان خبت ناره ، وانطفأت انواره ، [illegible] لاعارته، ومغادرته مدينة القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا أمس بارق أمل جديد، عسى أن نصل في نوره الى ما نريد ، فيكون ذلك من بركات المقتطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المقتطف في مثل هذا اليوم – أول مايو –(١) من سنة ١٨٧٦ فتم له امس أربعون سنة . وقد كان مما خطر ببال كثير من أهل العلم والعاملين للنهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمقتطف يحتفلون به الاحتفال اللائق بخدمته للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا بحياتها العلمية والفنية ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في مأتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمقتطف صديقنا الاديب الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم المحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مايو الموافق ٢٨ جمادى الآخرة ونشرت في النظام وله كتابة ثم في المقتطف ولاجله أنشئت ، وكان النشر موقوفا لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في الجزء الماضي م

العامة، لا يمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة، فأقيم أمس في دار الزاهية مأدبة لصاحبي المقتطف دعا اليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وصاحب السعادة يحيى باشا ابراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية [1] وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار، المتألقة بالانوار فكانت سامراً عذباً من أرق الديار، افتتحها حضرة صاحب الدولة بهذه الابيات

يا بدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك داري حين حياها لداكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات [illegible] من ترقية العلوم والفنون تحلقوا حول تلك المائدة وأصابوا ما طاب لهم من ألوانها الفاخرة، ثم نهض الداعي الولي الكريم وألقى خطبة نفيسة في الثناء على المقتطف المفيد، وعلى منشئيه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر، بين فيها خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبته مصر اليها، وذكر مقالتين نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كله مقالة في عمل الزجاج ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالاً الى ان يكون بدراً كاملاً (قال) وكذلك كان المقتطف فانه كالزجاج في صفائه وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالاً ثم صار بدراً كاملاً واسأل الله حفظه من المحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمنشئي المقتطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلهما وأخلاقهما ما هو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور ببلوغ مجلة المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقتطف بالسبق في

(٢) انما ذكرنا الالقاب الرسمية لهؤلاء الكبراء عملاً بسنة المنار لان المقالة كتبت للمقتطف لا لنا

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الاكبر والقى كلمة في الموضوع هذه خلاصتها :

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك على وصفه المقتطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المنار وقرنه بالمقتطف وقال ان للمقتطف فضيلة السبق ، وذكر انني اعترف له بذلك ، كما اعترف لابن معط ابن مالك ، اذ قال في فاتحة الالفية :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

نعم انا اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم، وأزيد على ذلك الاعتراف بأني قد استفدت من المقتطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . اني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشيخ [illegible] المقتطف ومواظباً على قراءته فكانت تلك أول معرفتي بالمقتطف وحرصت [illegible] بعد ذلك وقرأته فاستفدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ، ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد العلمي العصري

ان المقتطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه. فان الذين يتعلمون مبادئ العلوم العصرية باللغة العربية يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية ، ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الا لبعض الاغنياء المتقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمقتطف يلخص لنا في كل شهر مالا يستغني عنه قراء العربية

من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الخمسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين بلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرات من

الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا للمقتطف مثل هذا الاحتفال لا لأن له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجه غيرها فحسب، بل لان للصناعة باباً في المقتطف فهو مرشد الى ترقيتها بجميع فروعها، وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالا آخر لان للزراعة باباً فيه مثل باب الصناعة ، ومثل هذا يقال في كل علم وفن، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الآية صورة مجملة لما يجب على الامة مفصلا

ان أكبر منقبة للمقتطف ومنشئيه أنهما حجة اللغة العربية على من يتوهمون أنها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلما العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فأفادا العلم ما لم يفده أحد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هذا ملخص ما قاله . ثم ألقى أحد [illegible] خطبة نفيسة في فضل المقتطف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية فشبهها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين [illegible] من الافراد كالصلاة والصيام ، وفرض كفاية وهو ما اذا قام به بعض الافراد سقط الطلب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معايشهم) . وقال ان صاحبي المقتطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون [1] . ثم ذكر أول عهده بالمقتطف وانه أرسل اليه سؤالا الى بيروت ثم عهده برؤية منشئيه وما يحمد من صحبته لها

وقام أيضا الشاب الحبيب اميل أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء فأثنى على المقتطف وذكر انه تلميذ تلاميذ منشئيه العلامتين وذكر ان والده وهو استاذه الاول كان تلميذهما وكذلك كان اساتذته في المدرسة الكلية من تلاميذهما

ثم قام صاحب مجلة المنابع الغراء توفيق أفندي عزوز فخطب خطبة اثنى فيها على المقتطف بما هو أهله وذكر استفادته منه كثيرا وقال ان منشئيه العلامتين

(١) ان ما يجب على المسلمين وجوبا كفائيا لا يسقط عنهم جميعهم الا بقيام من يكفي به بل يأثمون بتركه وان كان من الواجبات الثانية كالطب والصناعات

الفاضلين قد افادا بأخلاقهما كما أفادا بمجلتهما فهما باتفاقهما وتكافلهما واخلاصهما قدوة صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم عائق لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس نمر فألقى خطاباً بليغاً قال في فاتحته إنه بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولا لسعادة اسماعيل بك عاصم عنايته بهذه الدعوة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله :

« ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين عاماً على مجلتنا المقتطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وأرباب المجلات العربية الذين دعاهم احتفالا بذلك فأبنا لحضرته ان الوقت لا يصلح للاحتفالات ولا خدمتنا تستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمه ومكارمكم أيها السادة الا ان تخصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تتحفونا بهذا المدح الذي لا نستحقه ... [illegible] ... ولادب رب هذه الدار ولدولة الوزير الكبير رئيس المجلس ... [illegible] ... وافضيلة مفتي الديار المصرية ولسعادة رئيس الاستئناف الاهلي ولسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر الذين تكرموا بالثناء على المقتطف وذكروه بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراما له جزيل الشكر من هذين العاجزين

ثم قال : « ان المقتطف وان كان قد انشيء في القطر السوري فقد كان معظم انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعاظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكاتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعاظم مصر وأكابر علمائها . والامل وطيد ان خدمة المقتطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها اضعافاً مضاعفة بموازرة سائر المجلات والجرائد العربية في مصر مولانا السلطان المعظم الذي حق لنا ان نباهي به سلاطين الشرق والغرب مماً إلى حبه العلم واكرامه العلماء ورغبته في اعلاء منار الادب وغيرته على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية فخراً وأدامكم للغة العربية ذخراً

ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية أفضت الى الكلام في شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من دار الكتب للمجمع . واني اجبت الى ذلك فلديّ الآن في المكتبة مكان لائق كانت الجرائد ذكرت انا فرشناه واعددناه لراغبات المطالعة من السيدات وليس عندنا سيدات يغشين دار الكتب للمطالعة فنعد لهن مكاناً

فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكانته من النفوس في أول هذه المقالة وزادهم سروراً ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . ونرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر بتأسيس هذا المجمع

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل ثم انصرف السامرون مثنين على رب المنزل اطيب الثناء

جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي فلم يلبث ان ترقى فوق الهام والرؤوس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير الألاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من مكاناتهم العالية . وانما ترقى جمال بك ببراعته وجرأته على سفك دماء خصوم الجمعية، فهو الذي دبر مكيدة المذبحة الاولى في أدنه اذ كان واليا لها بعد الدستور، وهو الذي قتل الجم الغفير من كبراء الآستانة المخالفين للجمعية عقب اغتيال محمود شوكت باشا . ولاجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه لا يزال ناظرا البحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطى

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة الى قيامه بشؤونها وناهيك بوزيري الحربية والبحرية في وقت الحرب، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلوهم في الجمعية لا بخدمتهم للدولة

ثم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (بالدش البارد) وإنما كانت مذبحة الكرك وتعذيب العرب برضخ رؤوسهم بالصخور هي الرشة الاولى من هذا (الدش) واننا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك النذر في مقالات (العرب والترك) وغيرها في المنار — قد ارتبنا في أول خبر بلغنا من شنق جمال باشا لبعض ذابي المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار التقتيل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد طيرت جريدة المقطم بيان جمال باشانفسه نشرته في اليوم السابع من شهرنا هذا يصرح فيه بعمله ويحتج له . وهذا ما نشرته :

بيان جمال باشا

نشر جمال باشا القائد العام [illegible] في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بحروفه — :

لما جرى التفتيش على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تمويه عنوان « حزب اللامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اوغستوس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي ألقي القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نورت المسألة من جميع اطرافها وسيق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لهم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية ونشرهم وأعمالها وفي ختام التحقيقات والمحاكمات التي أجراها الديوان العرفي في عاليه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المطلوبين فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة . فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والأمير عمر بن الامير عبد القادر . وعمر بن مصطفى حمد . ورفيق بن موسى رزق سلوم . ومحمد بن حسين الشنطي . وشكري بن بدري علي العسلي . وعبد الغني بن محمد العريسي . وعارف بن محمد الشهابي . وتوفيق بن احمد البساط . وسيف الدين بن أبي النصر الخطيب . والشيخ احمد بن حسين طباره . وعبد الوهاب ابن احمد الانكليزي . وسعيد بن فاضل عقل . وبترو باولي . وجرجي بن موسى الحداد . وسليم ابن محمد سعيد الجزائري . وعلي بن محمد حاجي عمر . ورشدي بن احمد الشمعة . وامين لطفي بن محمد حافظ . [illegible] . ولعدم ثبوت اشتراكهم في هذه الشبثات بالدرجة الاولى وبصورة [illegible] وعلى [illegible] ثبوت دخولهم في الجمعية بصورة فرعية، سالم بن مصطفى مظلوم بالاشغال الشاقة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن تحيم سليمان بعشر سنين، وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة وعلى رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد . وعلى الامير طاهر بن أحمد الجزائري بعشر سنين في الكريك . وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والشبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصادف وأنما لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة الحاكمة وتثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح وأسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما . وأعطي القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من محمد أفندي كامل الهاشم ، ابراهيم القاسم . سامي العظم . الشيخ جمال الدين الخطيب . عبد الحميد معلم الرسم . محيي الدين فريحه . البيطار حسين صبري . رشدي الغزي . عاصم بسيسو الغزي . عزت الاعظمي . مصطفى الكيلاني . عبد الرحيم حنونه . الدكتور حسام الدين . نجيب شقير . الشيخ فتح الله . الدكتور أحمد قدري . سليم الطيارة . جميل الحسيني . المفتي سعيد أفندي الباني . سليم الشمعة .

سليم البخاري ، فائز الخوري ، رشيد الحسيني ، عمر الاتاسي ، البكباشي علي رضا ، الدكتور أمين فارماء سعيد عدوه ، الدكتور عبد الحفيظ اليوز باشي جميل ، فريد باشا اليافي ، عثمان المعظم

ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد ، الامير عمر ، شكري العسلي ، عبد الوهاب الانكليزي ، رشدي الشمعة ، رفيق رزق ، الذين جرى اعدامهم هذا الصباح في الشام ، والآخرون جرى اعدامهم في بيروت ، وسائر المجرمين صار سوقهم الى منفاهم وحبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذاً في سورية وفلسطين السكون والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا ذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات ما يكشف الغطاء عن حزب اللامركزية الخفي وسينشر كتاب حاوٍ جميع الوثائق على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صدور هذه المسألة

ومن امعان النظر في هذه الوثائق يتبين أولاً ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا بلا تردد جميع ما لديهم من المقدسات الدينية والملية وواجباتهم الحسية والمادية . ثانياً ان هؤلاء الاشخاص قد اشتركوا مع خائنيهم واوقعوا انفسهم اعداء الدولة وسعوا في اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه الشبكات لم تمس بالنظر لما جبل عليه العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب الظنون والشكوك بأسرهم بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين لا أهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً وجاهاً وغيابياً

وبناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤ مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوسل بها في وقت النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجراآتها فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في

الحال التي يفدون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيعطون هناك أراضي وأملاكا قيمتها تعادل أملاككم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . واني أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة. على انه من الآن فصاعدا لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقا مالم تظهر وثائق قوية تدل على خيانته

قومندان الفيلق الرابع وناظر البحرية
أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء وابعاد الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قتل عدد من ذكرهم عمدا بلا تحقيق منهم السيد عبد الحميد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأيه ورأي ديوانه العرفي قصاصا ! وانما القصاص في شرع الله أن يقتل القاتل بمن قتله بغير حق ، [illegible]

ثم انه يقول ان التهمة الرئيسية [illegible] العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها من راية الدولة ، ونحن نثبت بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن العرب الذي يسعه أملا لتهمة [illegible] يكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء [illegible] الا واحد أو اثنان من الملتحقين في هذا الحزب (ومنها) [illegible] من تثق به الآخرون انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سعي ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به ؟ وانما الغرض الاكبر الذي يجمعهم وبه استعتبوا الشباب هو انهم من أذكياء العرب الذين يطالبون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم ، وأن [illegible] سابقة لا يعرفها الاتحاديون كافة [illegible] والسعي لمنع اغراض أوربة الاستعمارية [illegible] وتوثيق أعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واعانتهم صاحب جريدة القدام التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ان الطريقة المثلى لتتكيل عرب الجزيرة الغراء [illegible] « لان العرب تبيع كل شيء بالمال حتى العرض والناموس »

ثم انه يصرح بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لما جاز قتل أحد منهم بها شرعا ولا قانونا لانها عبارة عن رأي سياسي لم ينفع ، فالمهم انهم شرعوا في تنفيذه بالخروج على الدولة في أثناء النفير العام الذي ما كنهم بقانونه . وكيف يعقل أن يقوم نفر قليل مستولًا بالخروج على الدولة والسواد الاعظم من قومهم يخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكم بلادهم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مساقون عن بلادها ؟ وليت شعري ما تلك المنافع المادية الخسيسة التي حملت أولئك الاذكياء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جمعيتهم المزعومة فتلك غاية سياسية عالية لامادية خسيسة ، وان كانت غيرها فما هي ؟

باب المراسلة والمناظرة

الكتب المعزوة الى غير مصنفيها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكابر علماء الاسلام - وهم برآء منها - إما غلطا وإما قصدا، لتكون نافقة في البيع أو لإدخال أشياء في دين الاسلام ليست منه، ولا يكون قائلها من ثقة [illegible] قبول قولهعندهم، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين [illegible] وذلك لما ضاق بالزنادقة الامر وحصرت أحاديث رسول الله [illegible] معروفة، وبين فيها الصحيح من غيره، فلم يتمكنوا من وضع الأحاديث عليه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث، ومفسدة هذه الكتب ظاهرة للعيان

رأيت كل هذا فعزمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطبوعة الى غير أهلها نصيحة المسلمين، وتزكية لأئمة الدين، وخدمة للتأريخ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الغراء.

ثم اني لا أقصد ببياني هذا طعنا في أحد من طابعي هذه الكتب فلا يحرجنهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لا هادي الا هو

(١) من الكتب الدخيلة الموضوعة قصدا كتاب يسمى (سر العالمين)[١] ألفه أحد الزنادقة من الفرقة الباطنية، ونحله حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه، وأدخل فيه كثيرا من عقائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها، ومن أكثر العلماء ردا على معتقديها، وأدخل فيه كثيرا من علوم السحر، ثم أراد أن

(١) طبع في الهند ثم طبع في مصر سنة ١٣١٧

بحقق نسبة الكتاب الى الغزالي فصار دائما يحيل في بعض المسائل على كتب الغزالي كالاحياء والرد على الباطنية وغيرهما، ويقول «فيما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتابا من تصانيف الغزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للغزالي وغيرة على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية «أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فضح. فان أبا العلاء المعري مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، أي قبل أن يولد الغزالي بسنة أو سنتين، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وأربعمائة فليحذر الناس من الثقة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين، وليتق الله طابعوها ولا يغرروا بعامة المسلمين، وليتحر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصدا للتنفيق كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان)[1] نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضي الله عنه، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية، ولكنه بلاغية، فصيح العبارة، ويظهر أن مؤلفه [illegible] المحققين — أمثال إمامنا ابن القيم — فانه [illegible] بعبارات سخيفة لا يقولها من شام العلم بارقة

لو لم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا كاتب يتسخف ويظن أنه محقق، وأحمق يتكايس ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره، ولله دره من امام جليل، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قال في صحيفة (٢٥) بعد أن حكى الاقوال في وجه الاعجاز ما نصه: «قال المصنف عفا الله عنه: والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن» هذا اختياره وحكاية مثل هذا تغني عن رده وضرب الامثال على بطلانه[2]

(١) طبع أيضا في مصر سنة ١٣٢٧ (٢) المنار: مزية حفظ القرآن من التغيير ظهرت بمرور الزمن، فلا تحدى النبي (ص) بها العرب

وأقرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر: «وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة قائمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والاتيان بمثله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن» هذا كلامه بنصه واني أترك للقارئ فهم معنى التحدي بالصفة القديمة فذلك مما يقصر عقلي عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبته فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقيل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فلعل كاتب هذه لم يتحر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم، فأبى ونسبه اليه حسبنا الله ونعم الوكيل

(٣) ومما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماما ما وقع في مختصر البخاري للزبيدي المسمى «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح» فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالمطبعة الخيرية والمطبوعة بالمطبعة الميمنية ما نصه «للحسين بن المبارك الزبيدي» وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية. وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري، وبين المؤلف وبينه ثلاثة شيوخ. والغريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفة منها اسم المؤلف على الصواب، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرة الكتاب. وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحرز ولا نظر. وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرقاوي عليه التي طبع بالمطبعة الميمنية فانهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

{ لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن }

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعيــة آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بإيجاز في (ذيل) هذا الـكتاب آملا من غيرتكم التعضيد المادي والادبي قدر جهدكم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن أمثالكم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الأسيوية » التي هي من أعظم الهيئات العلميــة الباحثة في آداب الشرق · ولا يخفى على حضرتكم الظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في أكبر عواصم العالم. وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولا مختلفة مابين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعلكم مدفوعون بعامل أو أكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصحة العربية والسعي في نشرها بواسطة هــذه الجمعية الدولية التي [illegible]

هذا ولو أن الطريقة [illegible] الأن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كبيرة تستغرق زمنا غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبــذا لو ظفرنا بمؤازرتكم لنا ، فجلائل الاعمال أنما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد ؟

رئيس اللجنة التحضيرية	كاتب سر اللجنة
د . س . مرجليوث	احمد زكي أبو شادي

{ مقاصد الجمعية }

(١) أن تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية

(٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من والى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .

(٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيــا العظمى والمستعربين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارهـا وبين المستعربين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة الادبية . اه

مصابنا بالزهراوي والكيلاني

فجعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهراوي شهيد بغي الاتحاديين، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام الفيلبين. جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرائر، واستقطرت الدموع من المحاجر، أنباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها، فالآن الآن قد صار الفؤاد في غشاء من نبال، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة، وتقديما لها على المصالح الخاصة [illegible] وبفقدهما سقط في مهاوي العدم

نبت كل منهما في بيت من أعرق بيوتات القطر السوري شرفا وسؤددا وعلما ومجدا، وتربى كل منهما في نشأته الأولى تربية علمية دينية، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون العصرية، واختبر حال الزمان وأهله، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب، فكانا ركنين من أركان الوفاق، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح،

فهذا ما اتفق معنا فيه هذان الصديقان الكريمان. وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهراوي قد مُرِّس بالسياسة في حداثته فغلبته على الاشتغال بغيرها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع، فكان أفضل ما يرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين. ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضوا في مجلس الاعيان، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آلة لجعل ما تقرره جمعيتهم قوانين نافذة، وأعمالا منسوبة الى الامة، وكان الغرض منه خديعته وخديعة العرب به، الى أن تسنح الفرصة لتنفيذ ما قررته الجمعية من قبل من التنكيل

العرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه

وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من وظائف مشيخة الاسلام في الآستانة، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما اختير له من جعله شيخا للاسلام في جزائر الفيلبين، وكان يتقي شر السياسة بالمداراة حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيلبين تجاهل معرفة المنار وصاحبه، وهو على مذهبه الاصلاحي ومشربه، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته، وكان الخديو مناصبا لصاحب المنار من بضع سنين. وقد اخبرني بعد ذلك انه كان يفضل طلب المنار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من مصر، وانه قد تجدد له من الحاجة اليه في منصبه الجديد ما لم يكن يعلمه من قبل. وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله.

مسألة الازياء والعادات
من مشخصات الامم

زي الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن تحافظ عليه وتحترمه وتحتقر من يحتقره كما تحترم العلم الذي هو شارة حكومتها، فالعلم لا يحترم لشكله ولا لونه أو ألوانه، وليس من العقل ولا من الحكمة أن تذم الاعلام أو تمدح لشكلها أو ألوانها، وكذلك أزياء الامم من حيث هي أزياؤها، ولكن بين الزي والعلم فرقا واحدا وهو أن الزي يقصد به من المنفعة ما لا يقصد بالعلم، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما يكن شكله ولونه وصفته فانهما يفترقان في أن بعض الازياء لا تفي بما يقصد بها من وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية والزراعية.

ومن الناس من يرجع في اختيار الازياء الى مراعاة الذوق والجمال، ولكن هذا ليس له قاعدة ثابتة، وانما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما يختاره كبراؤها وحكماؤها، وانما يعنى بالذوق والجمال في الزي النساء، وهن في كل آونة يستحدثن

زيا جديدا يبطل به ما كان قبله مستحسنا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لاتخفى ، ويقابل ربح هؤلاء من الازياء خسارة المسرفات فيها ، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف

من أكبر جنايات الافراد على أمتهم أن يحتقر أحد منهم زيها ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يبث في الامة الشعور بمهانتها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واكتبنا [illegible] في المنار اذ طرقنا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في [illegible] وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج يعرفون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالأغنياء المتفرنجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام ، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومآرب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعما افرنجيا فطردا منه لانهما معممان ، وقالت في لومها انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلهما . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فانا نخص باللوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمؤاكلة الافرنج في مطاعمهم وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرقى الآداب ، وفريق المتفرنجين الذين يحتقرون زي أمتهم وعاداتها وآدابها ، ويستبدلون بها غيرها تقليدا للاغيار وتفضيلا لهم على أنفسهم ، ويكونون آلة لاضعاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ما وراء ذلك كما لا يشعر بضررهم . ومن أراد أن يعرف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الاسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها [1] ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفرنجين في نفس الافرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوّماتها أو مشخصاتها إزاء احترام مايقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه . ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من العلم أو حظاً من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقار لأمته مهما يكن رأي المحتقر وقصده، ومن ذلك ان لا يأكل احد من المصريين [illegible] أو غير ذلك، ولا ان يشتروا شيئاً من تاجر يهين مصرياً، ويجب على أمثال هؤلاء ان يبذلوا جهدهم لمنع الاهانة عن أمتهم وإلجائها عن معاملة كل من يقصر في احترامها، وانما يتيسر هذا بتعاضد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تحتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في بومبي شركة البواخر العربية زال ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

واتفق لي منذ بضع عشرة سنة أنني دخلت مطعماً سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب ان يأكل مع شيخ أزهري ، فلم أبال بطلبه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر اليه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر متشل أنس الذي كان وكيلا لنظارة المالية

(١) راجع ص ٢٠١ و ٢٦٨ م ١٧

وكثل قاستاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة الحديدية كمعفيه أن يلزمه الاعتذار إلي، وأخذت الكتاب بنفسي وعدت راضيا مكرما

ولا يخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها لا يقتضي هذا التفرنج الذي ندمه ولا يأتي من طريقه بل ينافيه ، لأن التفرنج تقليد في الأزياء والعادات يحدث التفرق في الأمة وانحلال روابطها ، واقتباس العلم النافع و... ارفع يجب أن يكون بطريق الاستقلال لا التقليد ، ولن ترى فيه حاجة الأمة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها ، ولم نرهؤلاء المتفرنجين من الترك والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية ، بل هم الذين نسفوا ثروة بلادهم وقطعوا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه وليس في بلادهم شيء من العمران الا وقد كان يصل لأجانب [illegible] وانما سار على ذلك شعب اليابان الذي شرع في [illegible] من الفنون لأوربة بعد الترك والمصريين ، فكان طلاب العلوم منهم في أوربة [illegible] العلوم النظرية والسياسية وكانوا مثال [illegible] الفسق والسرف والفساد

واليك من العبرة هذا المثال : كان بعض الأوربيين والأوربيات مع بعض اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس ، فأنكر عليه ذلك بعض الأوربيين لأن خلع النعل أو الجلوس بغير نعلين مستهجن في عاداتهم ولا سيا حيث يوجد النساء . فقال الياباني : انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية فبأي حق تطالبونا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أوقال كلاما بهذا المعنى. فهذه هي الوطنية لا ما يتشدق به المتفرنجون الذين لا يعقلون عاقبة ما يأتون وما يدعون

قلنا أن اقتباس الفنون النافعة من الغربيين — وكذا ما يستلزمه من احترامهم بحاجتنا الى علمهم — لا يعد احتقارا للأمة بل اصلاحا ، ونقول أيضا اننا في حاجة الى الإصلاح في كثير من العادات الضارة ، وأن ذلك لا يعد احتقارا للأمة وطالما كتبنا في ذلك ، ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الاصلاح على شريعتنا وهي أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب